سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي، قِسْمُ الخُطَبِ (٣٠)

تَفْرِيغُ خُطْبَةٍ بِعُنْوَانِ:

«نِعْمَةُ الأَمْنِ، أَهَمِّيَّتُهُ وَحَقِيقَتُهُ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ»

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المدرّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاها فضيلته في الرياض بتاريخ ٣-٤-١٤٢٨هـ

إِعْدَادُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِهِ وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة بعنوان:

نعمة الأمن، أهميته وحقيقته، والتحذير من الأفكار المنحرفة [1]

«إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

أمَّا بعدُ؛ فيا أيها المسلمون: اعلموا -رحمكم الله- أنَّ الله ﷻ بعث رسوله وخليله محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وقد أظلمت أرجاؤها، أظلمت أرجاؤها بظلمات الشرك، والجهل، والكفر، والعناد، والبغي، والظلم، والقتل، والسفك للدماء، واعتداء القوي على الضعيف، فقام -عليه الصلاة والسلام- بدعوة الناس إلى دين الله -تبارك وتعالى-، دعاهم إلى ربهم -تبارك وتعالى-، بيَّن لهم ما أوجب الله ﷻ عليهم، فجاء وهُم -فيما ذكرنا- في جهلٍ فأخرجهم الله به إلى نور العلم،

---

[1] ألقاها شيخنا محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله- في الرياض بتاريخ ٣-٤-١٤٢٨هـ.

وفي ظلمٍ فأخرجهم الله به إلى نور العدل، وفي شركٍ فأخرجهم الله به إلى نور التوحيد، فما لحق بربه ﷺ إلا وقد ترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه، وقد بيَّن ما يجب على الناس بعضهم لبعض، وبيَّن ما يجب لله ﷻ عليهم، فبدأ بدعوتهم إلى عبادة الله وحده، ثم بيَّن لهم الأحكام، وما انتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد كان الأمر كما قال أبو ذر ؓ: «لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا تَرَكَ طَائِرًا يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَأَعْطَانَا مِنْهُ عِلْمًا»(١).

وإنَّ مما أعطانا الله ﷻ فيه العلم على يدي هذا النبي الكريم ﷺ: موضوع الأمن.

إنَّ الأمن -يا عباد الله- مطلبٌ ضروريٌ لحياة الإنسانية(٢)؛ إذ به تفقد الحياة حلاوتها، وتفقد لذَّتها وسعادتها، وهو مقصد نبيل يسعى إليه الناس جميعًا مسلمين وكفارًا، أبرارًا وفُجَّارًا، كلهم يحبه لنفسه وأقربائه ومجتمعه، إلا شُذَّاذ الناس؛ فكل واحد يسعى في إزالة هذه النعمة -وإن زعم أنه يسعى في تحقيقها-.

أيها المسلمون: لقد جاءت الشريعة الغرَّاء ببيان هذا الأمر، وتوضيحه غاية التوضيح، كلُّ واحدٍ مِنَّا يحب الأمن على دمه وعرضه، وماله، ودينه، كلُّ واحدٍ مِنَّا يحب ذلك، إنه إذا تعطَّل الأمن؛ تعطَّلت العبادات، وسُفكت الدماء، وحلَّ الخراب، وتهدَّمت الأسواق، وتوقَّفت حركة التعمير، وتوقَّفت حركة العلم، فلا إله إلا الله ما أسعد العقلاء، وما أحظَّهم، ما أسعد العقلاء وما أحظَّهم حين علموا هذه الحقيقة، وما أتعس البؤساء الذين أضلَّهم الشيطان حينما غفلوا عن هذه الحقيقة.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢١٤٣٩) واللفظ له، والبزار في «مسنده» برقم (٣٨٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٦٤٧): «لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا».

(٢) هكذا قال الشيخ -حفظه الله-.

إنَّ الأمن -أيها المسلمون- مِنَّةٌ من الله -تبارك وتعالى- هو الذي يُؤمِّن الخائف، والمسلمون حقيقة هم الذين يدركون ذلك جيِّدًا، فلا يطلبونه إلا من الله -تبارك وتعالى-، لا يطلبونه من أحد سواه، لا من قوانين وضعية، ولا من أحكام بشرية، إنما يطلبونه من الله -تبارك وتعالى-.

قال الله ﷻ ممتناً على كفار قريش: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت:٦٧].

فالآيات دالة على أنَّ الأمن إنما يكون بتمكين الله، وتيسيره، وتذليله، والخطاب هنا للمشرك الذي يؤمن بالباطل ويكفر بنعمة الله ﷻ، فأمْره هذا والله هو العجب في هذا الباب، وكل من شارك في نزع هذه النعمة بعد استقرارها؛ فهو من هذا القبيل، وله نصيب من هذه الآية، هؤلاء غفلوا عن هذه النعمة العظيمة؛ لأنهم حُرِموا تدبر القرآن الكريم والسنة النبوية، وإنَّ هذا الباب إنما يعقله العالمون والعقلاء من الناس، والذين لا تزال فِطَرُهم سوية، أصحاب العقول السليمة والديانة المستقيمة هم الذين يعرفون أهمية هذا الباب؛ لأنَّ إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- حينما دعا لأهل مكة إنما دعا لهم أول شيء بأن يجعل بلدهم آمنًا، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥]، فكان الكفار يعيشون في هذا البلد الآمن، والناس من حولهم يتخطَّفون قتلاً، ونهبًا، وتشريدًا، وسفك دماء، وقد كان يجدر بهم وبكل عاقل يتأمل كتاب الله أن يشكر نعمة الله عليه، فيصغي لهذا الخطاب العظيم، ثم يتمسَّك به، ولكن؛ ماذا كان الأمر من هؤلاء الكفار! اسمعوا إلى منطقهم الأعوج لما دعاهم النبي ﷺ وقام فيهم مُجدِّدًا دين إبراهيم -عليه السلام- قالوا له: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص:٥٧]، كذبوا والله في هذه الدعوة، فالتخطُّف إنما كان لمن كان حولهم، أما أهل البلد الحرام فكانوا في غاية من الأمن بسبب دعوة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥]، ولهذا دعا هذا الدعاء العظيم، دعا إلى هذا الأمر العظيم، دعا إلى هذا الأمر العظيم وتحقيقه، فاستجاب الله ﷻ له وأجابه إلى ذلك، فقال -جلَّ وعز-: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

أيها المؤمنون: إنَّ مَن أراد أن يُزعزع أمن المسلمين ويسعى في ذلك؛ فإنَّ الواجب على ولاة أمر المسلمين وعلى عقلاء المسلمين أن يقفوا منه موقف الحازم، وأن يأخذوا على يديه؛ لأنه إذا حلَّ البلاء نزل وعمَّ وطمَّ، فيعم الصالح والطالح.

ومما يدل على عظيم أهمية الأمن وعلو منزلته ومكانته في دين الإسلام: أنَّ نبينا ﷺ كان يقول عند بزوغ الهلال من أول كل شهر إذا رآه: «**اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بالأَمْنِ وَالإِيْمَانِ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى**»(١)، وما ذلك منه ﷺ إلا لإدراك أهمية هذا الأمن.

وأخبر -عليه الصلاة والسلام- بقيمة هذا الأمن في قوله ﷺ في حديث عُبيد الله بن محصن الأنصاري الذي خرَّجه «الترمذي» وغيره(٢) بإسناد حسن: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِربِهِ، مُعافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوْتُ يَومِهِ؛ فَكأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنيَا**»، فبدأ -عليه الصلاة والسلام- بالأمن؛ إذ بدونه لا لذة ولا طعم للحياة، ولا متعة ولا حقيقة لعافية في جسد.

أيها المسلمون: إنَّ الواجب على كل عاقل أن يتأمل في هذا، وأن يعطيه لُبَّه، فحينئذٍ سينتهي إلى الحق والصواب في هذا الباب.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٣٩٧)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٤٥١)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٤٣٠) برقم (١٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٣٠٠)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤١٤١)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٣٤٦)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/١٤٦) برقم (٢١٢٦) بزيادة: (بحذافيرها)، والحديث حسَّنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥/٤٠٨) برقم (٢٣١٨).

أيها المسلمون: إنَّ ما نراه اليوم مما يعصف بكثير من بلدان المسلمين من بعض الخلل والاضطرابات التي تقوم؛ إنما هذا بسبب شُذَّاذ من الناس لم يدركوا هذه النعمة العظيمة، ولم يَقدُروها حقَّ قدرها، والذي لا يعرف الشيء لا يَقدُره حقَّ قدره، أو إن كان عارفًا به فكَفَرَه، فنعوذ بالله من ذلك.

إنَّ الأمن -يا عباد الله- لا يتحقق حقيقة إلا إذا توفرت ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: تطبيق أحكام الله وشرعه في الأرض؛ وذلك بإحقاق العبادة له ﷻ، تجريدها له -جلَّ وعز-، وعدم الإشراك به -تبارك وتعالى-، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

وأيضًا يكون بتطبيق الحدود؛ بقتل القاتل، وقطع يد السارق، وجلد الزاني أو رجمه، وجلد شارب الخمر، فيأمن الناس بذلك على دمائهم، وأعراضهم، وعقولهم، وأموالهم، وتقوم بسبب ذلك سوق الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور:٥٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج:٤١].

إنَّ تطبيق الحدود أعظمُ سببٍ تُستَجلَبُ به هذه النعمة العظيمة؛ نعمة الأمن والأمان في الأوطان.

أسأل الله ﷻ أن يبارك لي ولكم في القرآن العظيم، وأن ينفعنا وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشـــهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ: فيا أيها المسلمون؛ لنعلم علم اليقين أنَّ من تمسَّك بدينه؛ فلن يرضى عنه مَن يبغونها عوجًا، لن يرضى عنه هؤلاء، سيقومون ضده، فتارةً يصفونه بالرجعية والتأخُّر، وثانيةً يصفونه بالتخلُّف، وثالثةً إن هو طبَّق الأحكام الشرعية والحدود الشرعية سيصفونه بالوحشية، وهكذا، فعلى المسلمين أن يُوطِّنوا أنفسهم، وليعلموا أنَّ هذا من الابتلاء، وأشد ما يكون الابتلاء حينما يأتي مِثلُ هذا الكلام ممَّن ينتسب إلى الإسلام ممَّن استغربوا في أفكارهم، أو استشرقوا، تبعوا الغرب والشرق، فجاؤوا إلينا وهم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بلغتنا، لكنهم في ديننا دخلاءُ، هؤلاء لا ينطبق عليهم إلا قول الشاعر:

أَبْنَاءُ جِلْدَتِنَا وَغَرْسُ رُبُوعِنَا ... لَكِنَّهُمْ فِي دِينِنَا دُخَلَاءُ

يَا أُمَّةَ اَلْإِسْلَامِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... سُلُّوا اَلسُّيُوفَ وَأَنْتُمُ اَلْبُرَآءُ

جاؤوا إلى مجتمعات المسلمين يدعون إلى الفجور، والفسق، والمجون، والخلاعة، يدعون إلى اختلاط الرجال بالنساء، ويطعنون في تعاليم الدين، ويُهوِّنون من أحكامه، ويُزهِّدون في شرائعه، إنَّ ذلكم -والله- هو البلاء، فنسأل الله ﷻ أن يكفي المسلمين شرَّهم، وإذا وُجِدَ أمثال هؤلاء في مجتمعات المسلمين خرج الطرف الآخر المضاد؛ ألا وهو طرف التطرُّف، فحينئذٍ تحصل البلية العظيمة، وهذا يوجب علينا أن نقف الموقف الحازم من الأفكار المنحرفة عن سبيل الله وشرعه، يوجب علينا التحذير من هذه الأفكار، هذا هو الأمن الفكري؛ التحذير من هذه الأفكار الدخيلة، وقد بيَّن القرآن الكريم والسنة النبوية هذا الجانب غاية البيان، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ

ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عمران:٧]، جاء في الحديث الصحيح(١) عن عائشة -رضي الله عنها- أنَّ النبي ﷺ قال لها: «يَا عَائِشَةُ، إِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، فحذَّرنا رسول الله ﷺ من هؤلاء المنحرفين فكريًا قبل وجودهم، كما حذَّر من الخوارج قبل خروجهم، وحثَّ على قتالهم وقتلهم، وأخبر أنهم شر فرقة تحت أديم السماء، وأنهم شر قتلى تحت أديم السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، كما قال -عليه الصلاة والسلام-، كما صحَّ بذلك عنه الحديث في «صحيح مسلم»: «شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»(٢)، «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ»(٣)، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(٤)، مع أنه وصفهم -عليه الصلاة والسلام- بكثرة العبادة والقراءة، فقال فيهم: «يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِي هَذا أَقْوَامٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ عِنْدَ صَلاتِهِمْ، وَقِرَاءَتَكُمْ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ -يعني للقرآن- يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٥)، «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَجْرًا»(٦).

أيها المسلمون: ما نفع هؤلاء هذه العبادة؛ لأنهم تركوا سُنَّة رسول الله ﷺ، فأوجب -عليه الصلاة والسلام- لمن قتلهم أو قتلوه هذا الأجر العظيم عند الله -تبارك وتعالى-، فضلاً من الله ونعمة، فإننا من ذلك أو بسبب ذلك نُبَشِّر إخواننا الذين يتصدَّون لأصحاب هذا الفكر المنحرف؛ نُبَشِّرهم بالخير العظيم، ونقول لهم اثبتوا وفَّقكم الله، دافعوا عن بلاد المسلمين وحرماتهم، ولكن نوصيهم بالإخلاص في النية لله -تبارك وتعالى-.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٦٥).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٢٢٠٨)، وابن ماجه في «سننه» برقم (١٧٦)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٠٠٠)، وحسَّن إسناده الألباني في «المشكاة» برقم (٣٥٥٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٣٣٣٨)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٧٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٣٦٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٣٤٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٦٤).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٠٥٨)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٦٥) بنحوه.

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٦١١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٦٦).

وقد حذَّر النبي ﷺ أيضًا من القدرية، وهم فرقة ضالة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «القَدَرِيَّة مَجُوسُ هذه الأمة، إنْ مَرِضُوا فلا تَعودُوهُم، وإن ماتوا فلا تُشَيِّعُوهُمْ»(١).

حذَّر من مخالطة أصحاب الأفكار المنحرفة حتى لا يَضِلَّ مُخالطهم بسبب ذلك، حذَّر -عليه الصلاة والسلام- من أصحاب الأفكار المنحرفة عمومًا، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثنتَينِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قالوا: مَن هم يا رسول الله؟ قال: «مَن كانَ على مِثْلِ مَا أنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٢).

فصلوات الله وسلامه عليه، حذَّر من الافتراق وحثَّ على طريق السلامة؛ ألا وهو السير على الطريق التي كان عليها ﷺ هو وأصحابه، وقد قال أيضًا -عليه الصلاة والسلام- في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه المشهور: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكوا بها، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣)، وصحَّ في الحديث الآخر: «وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(٤).

أيها المسلمون: لِنَحذر الأفكار المنحرفة التي تخرج بنا عن الصراط المستقيم، ولنسِر على أمر ربنا كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣] أي: تتقون عذابه، وبأسه، وغضبه سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٥٥٨٤)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٦٩١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٤٤٤٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٨٣٩٦)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٩٩٢)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٥٩٦)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٤٠) وقال: (حديث حسن صحيح)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٠٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٧١٤٢)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٧٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» برقم (٢٤٥٥).

(٤) هذه الزيادة أخرجها النسائي في «سننه» برقم (١٥٧٨)، وصحح إسنادها الشيخ الألباني في «خطبة الحاجة» (ص ٣٠).

والعنصر الثالث -أيها المؤمنون-: ليعلم المسلم أنَّ جميع ما تقدم لا يمكن أن يتحقَّق إلا بولاية، ولاية تقوم بمصالح المسلمين، فإنه من المتقرِّر أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة، والله لا يصلح الناس ولا تصلح أحوالهم إلا بوجود الأمراء، كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (هم يلونَ من أمورنا خمساً: الجمعةَ والجماعة والعيد والحدود والثُّغور، والله لا يستقيم الدِّين إلاَّ بهم، وإنْ جاروا وظلموا، والله إنَّ طاعتهم لغبطة، وإنَّ فرقتهم لكفرٌ)[(١)].

فعلى المسلمين أن يعلموا أنَّ معاشهم لا ينتظم إلا بوجود ولاة يسمعون لهم ويطيعون، فمن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده، وثمرة فؤاده؛ فليطعه ما استطاع، وإياكم إياكم أن يبيت مؤمن وهو يرى أن ليس في عنقه بيعة لإمام المسلمين الذي استقرَّت له الولاية، فإنه مَن بات على ذلك؛ فإنه أشبهُ بأهل الجاهلية، قال -عليه الصلاة والسلام- مُحذِّرًا مِن هذا الأمر غاية التحذير: «**مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[(٢)]؛ وذلك لأنَّ الجاهلية لا يعترفون بإمرة بعضهم على بعض، فهذا أشبه ما يكون بهم، نسأل الله العافية والسلامة.

واعلموا: أنَّ الطاعة إنما تكون في المعروف، كما قال -عليه الصلاة والسلام-[(٣)]، لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، كما قال ﷺ: «**عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[(٤)]، ولكن هل ينزع يده من طاعة الإمام؟ لا، إنه لا ينزع يده من طاعة الإمام كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[(٥)].

فإنه بذلك تستقيم الأحوال، وتستقيم الأمور، وتقوم أمور الدين والدنيا، «**فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»، كما جاء ذلك عن عمر رضي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس- ط الكويت» (ص١٧١) برقم (٢٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٢٥٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٨٤٠) كلاهما بلفظ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ».

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٩٥٥)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٨٣٩).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٥٥).

الله تعالى عنه[1]، ومن خرج عن الجماعة فمات -كما قلنا- فميتته جاهلية، ولا يحق لأحد أن يعتذر له؛ لأنَّ النبي ﷺ قد قطع العذر في ذلك، فقال -عليه الصلاة والسلام- فيما جاء في حديث ابن عمر المُخرَّج عند الإمام أحمد[2] بإسنادٍ صحيح: «مَنْ نَزَعَ يَدًا مَنْ طَاعَةٍ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فكيف تعتذرون لمن نزع يده من الطاعة -أيها المعتذرون-؟ فاتقوا الله في أنفسكم.

وإذا اجتمع الأمر على إمام وجاء مَن ينازعه؛ فإنَّ النبي ﷺ قد أمرنا ودلَّنا على العلاج في الحديث الصحيح -حديث عرفجة بن شُرَيح-، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ وَيُفَرِّقَ كَلِمَتَكُمْ؛ فَاقْتُلُوهُ»[3].

وجاء عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا أنَّ النبي ﷺ قال: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»[4]، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «مَن أطاعَني فقدْ أطاعَ اللهَ، ومَن عصاني فقد عصى اللهَ، ومَن يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعَني، ومَن يَعْصِ الأميرَ فقد عَصاني» متفق عليه[5].

فما لنا -معشر المسلمين- لا نتبَّع مثل هذه النصوص ونَحذَر المُنْدَسَّ فينا! ما لنا -معشر المسلمين- لا نُقبِل على سُنَّة نبينا ﷺ! فعن حذيفة مرفوعًا، قال ﷺ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، فقَالَ لَهُ رضي الله عنه: كَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ» خرَّجه مسلم[6].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٧٧)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢١٦٥)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١/ ٧٩٢) برقم (٤٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٥٧١٨)، وهو عند مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٥١) بلفظ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ».

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٥٢).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧١٤٢)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٨٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٩٥٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٨٣٥).

(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٤٧).

واعلموا -عباد الله-: أنَّ مَن حمل على المسلمين السلاح؛ فقد تبرَّأ منه رسول الله ﷺ، فجاء في حديث ابن عمر المتفق عليه[(١)]: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**».

فيا عباد الله: أَسمِعوا هؤلاء الذين أضلَّهم هؤلاء المُضَلِّلون بأنهم قد حذَّر منهم رسول الله ﷺ، وتوعَّدهم بمثل هذا الوعيد، فعلينا جميعًا أن نقف موقف الحازم من هؤلاء الذين يريدون أن يعبثوا بأمن المسلمين.

إنَّ الأمن -يا عباد الله- إذا اختلَّ؛ حلَّ البلاء كله، فإنَّ السلطان ظل الله في الأرض، من أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله، جاء ذلك في حديث أبي بكرة الذي خرَّجه الإمام أحمد، والترمذي بإسنادٍ حسن[(٢)]: «**السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ، مَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللهُ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللهُ**».

فلا يجوز الاعتداء عليه، ولا النيل من عِرضه، فإنه قد صحَّ عن أصحاب رسول الله ﷺ النهي عن ذلك، فجاء في حديث أنس الصحيح قال: (نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالوا: قَالَ لنا رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغِشُّوهُمْ، وَلَا تَبْغَضُوهُمْ»)[(٣)]، لأنَّ الشر حينئذٍ إذا سمع الناس السبَّ للولاة؛ ذهبت هيبتهم من قلوبهم، وانفرط عقد السمع والطاعة، واختلَّ الأمن، وحلَّ الخوف والنزاع والفرقة، نسأل الله العافية والسلامة.

إنَّ الأمن مطلب ضروري، ضروري لحياة الناس مسلمهم وكافرهم، فما لكثير من الناس يغفلون عن هذا الباب وقد جاء به الكتاب مُوضِّحًا والسُّنَّة النبوية الصريحة مُصرِّحاً! فما على المسلمين إلا أن يعودوا إلى ربهم.

جاء في حديث أبي ذر ﷺ المُخرَّج عند الإمام أحمد: أنَّ رسول الله ﷺ دخل عليه ذات يوم المسجد فوجده نائمًا، فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنَ المَدِينَةِ؟**» قال: أذهب إلى الشام،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٨٧٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٩٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٠٤٣٣)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٢٢٤)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٣٧٦) تحت حديث رقم (٢٢٩٧).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة- ومعه ظلال الجنة» (٢/ ٤٨٩) برقم (١٠١٥)، وقال الألباني: إسناده جيد، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر).

قال: «**كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنهَا؟**» قال: أضرب بسيفي، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَفْضَل مِنْ ذَلِكَ وَأَقْرَبُ رُشْدًا؟**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ، وَتُسَاقُ كَيْفَ سَاقُوكَ**»، خرَّجه الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح[(١)].

فالله أكبر، انظروا إلى توجيهات نبينا ﷺ، يُخرجونك من كذا ما تعمل؟ قال: أذهب إلى بلد كذا، يُخرجونك منها ماذا تعمل؟ قال: أَسُلُّ سيفي وأَضرب، قال: أفلا أدلك على أفضل من ذلك وأقرب رشدًا؟ قال: بلى، قال: تسمع وتطيع وتساق كيف ساقوك.

فالله أكبر ما أعظم هذه الأحاديث التي نطق بها من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، وما أقبح وما أشنع فعل هؤلاء الذين خالفوا هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة، فوقع بسببهم الشر والبلاء -عياذًا بالله-.

وليُعلم: أنه إن رُؤيَ الخطأ -والخطأ لا بُدَّ من وقوعه- فما من معصوم إلا الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إن وقع خطأ؛ فإنَّ الواجب أن يُنصح الولاة بالطريقة الشرعية الصحيحة، فإنه قد جاء ذلك في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ، وَلْيَنْصَحْهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**»[(٢)].

عباد الله: اعرفوا قدر هذه النعمة التي نحن فيها، فعلينا جميعًا أن نسعى في تحقيقها، وأن نتعاون مع أئمتنا أئمة المسلمين، ومع علمائنا علماء المسلمين الذين يسعون جاهدين جزاهم الله خيرًا يسعون جاهدين إلى الإقامة لهذا الشرع الحنيف، ويسعون جاهدين إلى قطع دابر الفتن وأسبابها، جزاهم الله عنا خيرًا.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢١٢٩١) و(٢١٣٨٢)، وحسَّنه الألباني في «التعليقات الحسان» (٩/ ٣٥٨) برقم (٦٦٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة- ومعه ظلال الجنة» (٢/ ٥٢١-٥٣٢) برقم (١٠٩٦، ١٠٩٨، ١٠٩٧)، وصححه الألباني.

أسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرزقنا وإياكم جميعًا الفقه في دينه، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه، كما أسأله ﷻ أن يهدي ضال المسلمين.

أسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يهدي ضال المسلمين، وأن يدلنا وإخواننا المسلمين على مراشد أمورنا، وأن يُوفِّق أئمتنا وولاة أمورنا، وأن يهيئ لهم البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير، وتدلهم عليه، وتُحذِّرهم عن الشر، وتحجزهم عنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم إنا نعوذ بك من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، ونعوذ بك من شر نزغات الشياطين.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]».

إِعْدَادُ/

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِهِ وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّال عَامَ خَمْسَةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ